

خطبة

مِيقَاتُ الْإِسْلَامِ
مِيقَاتُ الْإِسْلَامِ

مَجْمَعُ دَرَرَتَيْبٍ
مَنْ خُطِبَ وَمُحَاضِرَاتُ فِضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي عَائِشَةَ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسُلَانِ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ، وَكُلُّ ضَالَّةٍ فِي
النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

أَوَّلُ أَوَامِرِ اللَّهِ لِلنَّاسِ فِي الْقُرْآنِ

فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا نَادَى النَّاسَ كُلَّهُمْ؛ مُسْلِمَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، عَرَبِيَّهُمْ وَعَجَمِيَّهُمْ بِأَوَّلِ نِدَاءٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَأَمَرَهُمْ جَمِيعًا أَمْرًا وَاحِدًا؛ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ، وَأَنْ يُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِخَلْقِهِ لَهُمْ، وَخَلْقِهِ لِأَبَائِهِمُ الْأَقْدَمِينَ، وَبِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَفْرُوشَةِ، وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعَةِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا، وَنَهَاهُمْ جَمِيعًا نَهْيًا وَاحِدًا؛ أَلَّا يَجْعَلُوا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أُنْدَادًا؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ لَهُ، وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَهُوَ وَحْدَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ -تَعَالَى- لَا نِدَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ.



التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهيبُ مِنَ الشِّرْكِ

التَّنْذِيرُ وَاقِعٌ فِي الْأُمَّةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ قُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ! فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ كَانَ حَالِفًا أَنْ يَقُولَ: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١).

فَهَذَا التَّنْذِيرُ وَاقِعٌ مِنَ الْخَلْقِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُونَ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ فِي الْأَلْفَافِ، وَهُوَ وَاقِعٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ وَاقِعٌ فِيهَا.

وَإِذَا كَانَ إِمَامُ الْحَنْفَاءِ إِبْرَاهِيمُ السَّكَلَوِيُّ - وَهُوَ الَّذِي عَادَى أَبَاهُ وَقَوْمَهُ، وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ، وَدَعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ - إِذَا كَانَ إِمَامُ الْحَنْفَاءِ إِبْرَاهِيمُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الشِّرْكَ، وَيَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَهُ وَذُرِّيَّتَهُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَى»: كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنُّدُورِ: الْحَلْفُ بِالْكَعْبَةِ، (٣٧٧٣).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١ / ٢٦٣، رَقْم ١٣٦).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «فَمَنْ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!»^(١).

إِذَا كَانَ الْخَلِيلُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ وَدْرِيَّتَهُ فِي جَانِبٍ، وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ فِي جَانِبٍ، وَهُوَ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلِيلًا، وَالَّذِي أَبْلَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْبَلَاءَ الْحَسَنَ؛ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، فَقَالَ: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(٢)، فَجَاءَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهَا، بَعْدَمَا كَسَرَ الْأَصْنَامَ، وَعَادَى قَوْمَهُ وَأَبَاهُ، إِذَا كَانَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا؛ فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ؟!!

إِنَّ الطُّفِيلَ بْنَ سَخْبَرَةَ -وَهُوَ أَخُو عَائِشَةَ لِأُمِّهَا- رَأَى رُؤْيَا فَقَصَّهَا، فَلَمَّا شَاعَتْ وَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدُ؛ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَلِّمًا وَمُرْشِدًا وَمَوْجِّهًا، «رَأَى الطُّفِيلُ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْ لَا أَنْتُمْ تَقُولُونَ: الْعَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ!!»، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: «وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْ لَا أَنْتُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!!».

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: ٢٢٨/١٣، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ يَقُولُ: «مَنْ يَأْمَنُ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ يَقُولُ: رَبِّ ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥]».

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ الْمُنْثَوْرِ»: ٨٦/٤، إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا.

(٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (التفسير، سورة ٣، باب ١٣، رقم الحديث ٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ آخِرُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

وَمَرَّ فِي الرُّؤْيَا عَيْنَهَا عَلَى قَوْمٍ مِنَ النَّصَارَى فَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْ لَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ!!»، فَقَالُوا: «وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْ لَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ!!»، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَصَّهَا عَلَى مَنْ قَصَّهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟».

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا مِنْ أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ أَلَا لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا»؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ بِشَأْنِهَا وَحْيٌ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّجُ عَنِ النَّهْيِ عَنْهَا، فَلَمَّا رَأَى الطُّفِيلَ مَا رَأَى؛ «نَهَى الرَّسُولُ ﷺ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ قَائِلًا فَلْيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ».



(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «السُّنَنِ»: كِتَابُ الْكُفَّارَاتِ: بَابُ النَّهْيِ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، (٢١١٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»: (٨/ ٣٢٤، رَقْم ٨٢١٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ. وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١/ ٢٦٣-٢٦٥، رَقْم ١٣٧ و ١٣٨).

تَصْفِيَةُ التَّوْحِيدِ وَثَمَرَاتُهُ

إِنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْلَطَ بِرِيَاءٍ وَلَا بِسُمْعَةٍ؛ فَضَلًّا عَنْ أَنْ يُخْلَطَ بِشِرْكٍ أَكْبَرَ أَوْ أَصْغَرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِهِ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِأَجْلِهِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِأَجْلِهِ.

وَالتَّوْحِيدُ نَزِيهٌ؛ فَأَقْلُ شَيْءٍ يَشُوْبُهُ، وَأَقْلُ شَيْءٍ يُكْذَرُهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ يَنْهَى الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّوَرُّطِ فِيهَا، وَيَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى اسْتِقَامَةِ اللِّسَانِ؛ لِأَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِنْسَانَ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَالْمُرْسَلُونَ كُلُّهُمْ قَالُوا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤].

فَكُلُّ رَسُولٍ أُرْسِلَ وَكُلُّ نَبِيٍّ نُبِّيَّ قَالَ لِقَوْمِهِ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وَهُوَ دِينَ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَدُورُ عَلَيْهِمْ فِي مَجَامِعِهِمْ وَمُتَدَيَاتِهِمْ وَفِي الْأَسْوَاقِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»^(١).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٣، و٣٤١ - ٣٤٢، رقم ١٦٦٠٣، و١٩٠٠٤،

و١٩٠٠٥) ومواضع، بإسناد صحيح، عَنْ رَبِيعَةَ بِنِ عِبَادِ الدَّيْلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ،

فَالْفَلَاحُ كُلُّهُ مُعَلَّقٌ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَهِيَ مَعْنَى قَوْلِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلُ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، فَهَذَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ نَفْيِ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ مِمَّنْ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَنَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَوَلِيِّ يُقَدَّسُ، وَضَرِيحٍ يُطَافُ بِهِ، وَمِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا بُدَّ مِنْ نَفْيِ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ، مَعَ إِثْبَاتِهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَهَذَا هُوَ دِينَ الْمُرْسَلِينَ.

وَالتَّوْحِيدُ تَتَحَرَّرُ بِهِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنَ الْعِبَادَةِ لِمَنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَإِنَّهُ مُمَزَّقُ النَّفْسِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَهُوَ مُوزَّعُ الْقُوَى، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى الْجَادَّةِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ لِأَنَّ صِرَاطَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمُسْتَقِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ وَالِاتِّبَاعِ.



قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاطٍ [وفي رواية: فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ]، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدِّكُم عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ [وفي رواية: وَأَبُو لَهَبٍ]. ذكره الألباني في «صحيح السنة النبوية» (ص ١٤٢ - ١٤٣).

النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمُ الدُّعَاةِ إِلَى التَّوْحِيدِ

إِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ قَدْ دَعَا النَّاسَ أَجْمَعِينَ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ حَمَى حِمَى التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا مِنَ الْأُمَّةِ بَعْدَهُمْ أَنْ يُغَالُوا فِيهِ ﷺ، فَنهَى عَنِ الْغُلُوِّ فِيهِ، وَقَالَ ﷺ: «قُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

فَالْعُبُودِيَّةُ الَّتِي حَقَّقَهَا أَعْظَمُ مَا حَقَّقَهَا مَخْلُوقٌ، وَهِيَ أَعْظَمُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُتَعَبَّدُ بِهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْرَفُ مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ، هَذِهِ الْعُبُودِيَّةُ الَّتِي حَقَّقَهَا بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأَمِينُ هِيَ أَشْرَفُ وَصْفٍ لَهُ، وَصَفَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي مَقَامِ التَّحَدِّيِّ، وَوَصَفَهُ اللَّهُ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي مَقَامِ الْإِسْرَاءِ، وَوَصَفَهُ اللَّهُ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «قُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب أحاديث الأنبياء: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ وَادِّكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ... (٣٤٤٥)، من حديث: من حديث: ابن عباس، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي...» الحديث.

قَوْلُهُ: «لَا تُطْرُونِي» الإطراء: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ وَالْكَذْبِ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى أَفْرَطُوا فِي مَدْحِ عِيسَى وَإِطْرَائِهِ بِالْبَاطِلِ، وَجَعَلُوهُ وَلَدًا، فَمَنَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَطْرُوهُ بِالْبَاطِلِ، وَقَوْلُهُ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ»، أَيُّ: لَسْتُ إِلَّا عَبْدًا، فَلَا تَعْتَقِدُوا فِيَّ شَيْئًا يُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ، وَقَوْلُهُ: «فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، أَيُّ: لِأَنِّي مَوْصُوفٌ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالرَّسَالَةِ،

وَلَمَّا جَاءَهُ الْوَفْدُ فَقَالُوا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا».

فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ».

قَالُوا: «أَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا».

قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^(١)، وَأَمَرَهُمْ بِالْأَلَّا يَغْلُوا فِيهِ وَاللَّيْلَةَ وَالرَّيْثَةَ.

كَانَ يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، وَأَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ»^(٢)، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ خَلِيلُ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ الْخَلْقِ مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ. (*)

=

فَلَا تَقُولُوا فِي شَيْئٍ يُنَافِيهِمَا مِنْ نُعُوتِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في كراهية التَّماذُحِ، (٤٨٠٦)، وأحمد في «المسند»: (٢٤٩/٣).

والحديث صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: (٣/ ١٨١، رقم ٤٨٠٦)، وفي هامش «مشكاة المصابيح»: (٣/ ١٣٧٣، رقم ٤٩٠٠).

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في «الزهد» (رقم ١٩٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٨١، دار صادر)، وأبو يعلى في «مسنده» (رقم ٤٩٢٠)، والبخاري في «شرح السنة» (١١/ رقم ٢٨٣٩)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ٧٤)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْكُلُ مُتَكَبِّرًا يَقُولُ: «أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ»، وصححه بشواهد الألباني في «الصحيحة» (٥٤٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «حُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ لِعَامِ ١٤٣٥ هـ: حَقِيقَةُ الدِّينِ» - الْإِثْنَيْنِ ١ مِنْ شَوَالٍ

١٤٣٥ هـ / ٢٨-٧-٢٠١٤ م.

لَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَالْعِبَادَةُ مُنْتَظِمَةٌ لِكُلِّ حَرَكَةٍ الْحَيَاةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

وَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ؛ هِيَ الْمَائِلَةُ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَبِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْظِيفِ الطَّاقَاتِ، وَتَفْعِيلِ الْإِمْكَانَاتِ؛ لِكَيْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ دَعَا إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ أَوَّلَ مَا دَعَا، وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا فِي مَكَّةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تُفَرَّضَ الزَّكَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالْحَجُّ، وَمَا أَشْبَهَ؛ بَلْ تَأَخَّرَتِ الصَّلَاةُ إِلَى السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبُعْثَةِ إِلَى الْمِعْرَاجِ، عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ فَرَضَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يُصَلُّونَ صَلَاتَيْنِ: رَكَعَتَيْنِ بِالْغَدَاةِ، وَرَكَعَتَيْنِ بِالْعِشِيِّ عَشَرَ سَنَاتٍ كَامِلَةٍ، وَلَا أَذَانَ فِي مَكَّةَ، وَلَا جَمَاعَةَ فِيهَا، وَلَا قِتَالَ فِيهَا، بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِكَفِّ الْأَيْدِي.

يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، بَأَنْ يُخْلِصُوا الْقُلُوبَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَنْخَلِعُوا مِنَ الْمَوْرُوثَاتِ، وَأَنْ يَتْرَكُوا جَمِيعَ الْمَعْبُودَاتِ، وَأَلَّا يُقْلَدُوا الْأَبَاءَ وَالْأَجْدَادَ، بَلْ يَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ التَّوْحِيدَ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ عَلَى السَّوَاءِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ - وَهُوَ حَالٌ قَارٌّ - تَوْحِيدَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِحَقِيقَةِ الدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ.

وَفِي الْحَرْبِ كَذَلِكَ، مَا أَعْفَى النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَخْطَأَ وَهُمْ فِي الْمَسِيرِ إِلَى اللِّقَاءِ إِلَى حُنَيْنٍ - كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - «أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى حُنَيْنٍ وَهُمْ حُدَنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فَمَرُّوا بِشَجَرَةٍ عَلَى سِدْرَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ».

وَذَاتُ الْأَنْوَاطِ: سِدْرَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ لِلْقَوْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَيْهَا، يُنْطُون - أَي: يُعَلِّقُونَ - بِفُرُوعِهَا أَسْيَافَهُمْ، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا، يُقَدِّسُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَقَالَ قَائِلُهُمْ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، فَلَمْ يُعْفِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا حُدَنَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَأَنَّهُمْ فِي الْمَسِيرِ إِلَى لِقَاءِ هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ.. لَمْ يُعْفِهِمْ ذَلِكَ مِنْ تَصْحِيحِ هَذَا الْأَمْرِ عِنْدَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ!!» (١).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب الفتن: باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، (٢١٨٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في هامش «مشكاة المصابيح»: (٣ / ١٤٨٩، رَقْم ٥٤٠٨).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ فِي الْحَرْبِ كَمَا يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ فِي السَّلَامِ، يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَيُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ!».

قُلْتُ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ».

قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟».

قُلْتُ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ، كَمَا يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، كَمَا يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ فِي السُّوقِ، وَيُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ فِي الْحَرْبِ، وَهُوَ يَمُوتُ ﷺ.

يَبْدَأُ الدَّعْوَةَ بِالتَّوْحِيدِ، وَيَخْتِمُ الدَّعْوَةَ بِالتَّوْحِيدِ فِي عُمْرِهِ السَّعِيدِ ﷺ؛ فَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ كَانَ عَلَى وَجْهِهِ قَطِيفَةٌ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا -أَيَ: ضَاقَ نَفْسُهُ-؛ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد: بابُ اسمِ الفَرَسِ وَالْحِمَارِ، (٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان: بابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ...، (٣٠).

تَقُولُ ﷺ: «يُحَذَّرُ مَا صَنَعُوا» (١).

حَتَّىٰ وَهُوَ يَمُوتُ ﷺ يَعْلَمُ التَّوْحِيدَ!!

لَا يُعْنَى أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا إِصْلَاحٌ إِلَّا بِهِ، وَلَا صَلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ إِلَّا بِهِ،
وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ يُرْسِلُ الْمُعَلِّمِينَ وَالْقُضَاةَ؛ يَأْمُرُهُمْ بِتَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ، وَأَلَّا
يَبْدُؤُوا بِشَيْءٍ قَبْلَهُ.

كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَوْفَدَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ؛
قَالَ: «يَا مُعَاذُ! إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
عِبَادَةُ اللَّهِ» (٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ
أَجَابُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ
صَلَوَاتٍ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِ
أَغْنِيَاءِهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ، ثُمَّ تُرَدُّ عَلَىٰ فَقَرَائِهِمْ».

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز: باب ما يكره من اتخاذ المساجد...، (١٣٣٠)،
ومسلم: كتاب المساجد: باب النهي عن بناء المساجد...، (٥٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله،
(٧٣٧١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين...، (١٩)، من حديث:
ابن عباس ﷺ.

وفي رواية لهما: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ...»، وفي أخرى: «...، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...».

عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي طَرِيقَةِ نَبِيِّهِ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

بَيَّنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا صِرَاطُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا سَبِيلُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿وَسُبِّحَنَّ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]: يَدْعُو إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَكَانَ عَلَى وَفْقٍ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُ الْكَرِيمُ ﷺ.

تَوْحِيدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَقَتَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُعْكَفَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبَثَّ فِي الْأُمَّةِ؛ فَإِنَّ الْأُمَّةَ مَا ضَاعَتْ، وَمَا ذَهَبَتْ بَدَدًا، وَمَا تَنَاقَرَتْ قَدَدًا، وَمَا تَمَكَّنَ مِنْهَا أَعْدَاؤُهَا فَادَّزَلُوا رِقَابَ أَبْنَائِهَا، وَفَعَلُوا بِهِمُ الْإِفَاعِيلَ إِلَّا لَمَّا اضْطَرَبَ الْأَمْرُ فِي التَّوْحِيدِ، وَانْفَرَطَ الْعِقْدُ فِيهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٢ هـ | ٢١ -

الإِسْلَامُ هُوَ دِينُ اللَّهِ الْحَقُّ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَ هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَخَلَقَهُ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُحَقَّقًا لِهَذَا الدِّينِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِذِهِ الْأُمُورُ، حَتَّى يَنْقَادَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُسْتَسْلِمًا، فَيَأْتِيَ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَكُونُ مُذِنًا لِأَمْرِ رَبِّهِ الَّذِي بَلَّغَهُ نَبِيُّهُ ﷺ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَكْفِي؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ لِأَنَّ دِينَ الْمُرْسَلِينَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، فَلَا بُدَّ مِنْهُمَا مَعًا، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا.

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اصْطَفَاكُمْ لَمَّا اخْتَارَ لَكُمْ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ هِيَ أَعْظَمُ نِعَمٍ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ؛ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا دِينَ رَبِّكُمْ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوا إِلَيْهِ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَصْبِرُوا

عَلَى الْأَذَى فِيهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَّقَ الْفَلَاحَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ،
 ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِوُجُودِهِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ
 بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّوْهِيَّتِهِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا
 مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِيمَانَ بِدُونِ عَمَلٍ، إِنَّ الْإِيمَانَ الْحَقَّ هُوَ مَا وَقَرَّ فِي
 الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ اللِّسَانُ، وَقَامَتِ الْجَوَارِحُ بِمَا أَلْزَمَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، فَهَذَا
 هُوَ الْإِيمَانُ؛ عَقْدُ الْقَلْبِ، وَنُطْقُ اللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَ هُوَ أَعْظَمُ دِينٍ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ لَخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ لِأَجَلِهِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَقَامَتِ بِسَبَبِهِ مَعْرَكَةُ الْجِهَادِ بَيْنَ جُنْدِ
 الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.

وَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ أَعْظَمُ مَنَّةٍ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- بِهَا عَلَى عَبْدٍ، فَمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، يَأْمُرُ
 بِالْبِرِّ وَيَنْهَى عَنِ الْعُقُوقِ، يَأْمُرُ بِالْأَمَانَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْخِيَانَةِ، يَأْمُرُ بِالصِّلَةِ وَيَنْهَى عَنِ
 الْقَطِيعَةِ، يَأْمُرُ بِالِاتِّلَافِ وَيَنْهَى عَنِ الْإِخْتِلَافِ، هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَأْمُرُ
 بِالتَّوْحِيدِ وَيَنْهَى عَنِ الشِّرْكِ، يَأْمُرُ بِالسُّنَّةِ وَيَنْهَى عَنِ الْبِدْعَةِ، يَأْمُرُ بِالْحَقِيقَةِ وَيَنْهَى
 عَنِ الْخُرَافَةِ..

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - لَنَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ فِي ذِيْلِ الْأُمَمِ فِي رَكْبِهَا، حَتَّى لَا
يَنْحَطَّ قَدْرُهُمْ، وَحَتَّى لَا يَسْفَلَ شَأْنُهُمْ؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمْ الَّذِينَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ
يُمْسِكُوا زِمَامَ الْبَشَرِيَّةِ لِيُقِيمُوهَا عَلَى الْعِبَادَةِ السَّوِيَّةِ، وَإِذَا فَرَّطُوا فِي ذَلِكَ فَهُمْ
فَرَّطُوا لَا فِي حَقِّ أَنْفُسِهِمْ وَحَدِّهَا، وَإِنَّمَا فَرَّطُوا فِي حَقِّ الْعَالَمِ كُلِّهِ!! (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «خُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ لِعَامِ ١٤٣٥ هـ: حَقِيقَةُ الدِّينِ» - الْإِثْنَيْنِ ١ مِنْ سَوَالٍ

فَرَحُ الْعِيدِ الشَّرْعِيُّ

عِبَادَ اللَّهِ! هَا هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ قَدْ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ بَعْدَ مَا تَقَلَّبَ الْعَبْدُ الْمُؤَفَّقُ بَيْنَ
 أَلْوَانٍ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ؛ يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ وَفَضْلَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَالْيَوْمَ أَشْرَقَتْ
 عَلَيْنَا شَمْسُ عِيدِ الْفِطْرِ الْمُبَارَكِ بِبَهْجَتِهِ وَفَرَحَتِهِ، نَسْتَقْبِلُهُ بِالتَّكْبِيرِ، وَالصَّلَاةِ، وَالتَّقَرُّبِ
 إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالطَّاعَةِ بَعْدَ الطَّاعَةِ، وَالْأَعْيَادِ فِي دِينِنَا لَهَا حِكْمَةٌ شُرِعَتْ مِنْ أَجْلِهَا، وَلَهَا آدَابٌ
 يَنْبَغِي التَّحَلِّيَ بِهَا، وَإِنَّ عِيدَ الْفِطْرِ يَأْتِي بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ الْمُسْلِمُونَ فَرِيضَةَ الصَّيَامِ، وَاسْتَتُوا
 بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ فِي الْقِيَامِ، يَقُولُ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
 مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).
 أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ. (*)

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٩٢ / ١، رَقْم (٣٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٥٢٣ / ١
 وَ ٥٢٤، رَقْم (٧٦٠)، مِنْ حَدِيث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٩٢ / ١، رَقْم (٣٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٥٢٣ / ١،
 رَقْم (٧٥٩)، مِنْ حَدِيث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣ هـ | ٣ -

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْمَدِينَةَ؛ وَجَدَهُمْ يَحْتَفِلُونَ بِيَوْمَيْنِ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكُمْ خَيْرًا مِنْهُمَا؛ يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأُضْحَى»^(١).

فَهَذَانِ هُمَا عِيدَا الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْفَرَحُ فِيهِمَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ وَجَعَلَ هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ بِعَقِبِ عِبَادَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ وَفَرَضَيْنِ جَلِيلَيْنِ مِنْ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّ عِيدَ الْفِطْرِ هُوَ مَنْ أَجَلَ الْفِطْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، يَفْرَحُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ بِأَدَاءِ هَذَا النَّسْكِ الْعَظِيمِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ مِنْ ذَبْحِ مَطَامِعِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا قُرْبَانًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَبَعْدَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ شَرَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْفَرَحَ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[البقرة: ١٨٥].

وَشَرَعَ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَيْضًا الْفَرَحَ فِي أَيَّامٍ هِيَ مِنْ أَعْيَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ يَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ أَعْيَادُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ؛ وَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَصُومَ الْإِنْسَانُ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَهِيَ: الْحَادِي عَشَرَ، وَالثَّانِي عَشَرَ، وَالثَّلَاثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢٩٥/١، رقم (١١٣٤)، والنسائي في «المجتبى»:

١٧٩/٣، رقم (١٥٥٦)، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ

يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟»، قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأُضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ».

والحديث صحيح إسناده الألباني في «صحيح أبي داود»: ٢٩٧/٤، رقم (١٠٣٩).

وَأَمَّا يَوْمُ النَّحْرِ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ عِيدُ الْمُسْلِمِينَ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ بِعَقِبِ آدَاءِ النَّسْلِ الْجَلِيلِ الَّذِي يُسِّرُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؛ مِنْهُ مِنْهُ وَعَطَاءً.

فَهَذِهِ الْأَعْيَادُ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُعَظَّمَ شَعَائِرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَفْرَحَ فِيهَا، الْفَرَحُ يَوْمَ الْعِيدِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُعَظَّمَ، وَهَذَا الْفَرَحُ كَالْحُزْنِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ مَبْنِيٍّ عَلَى قَوَاعِدَ، وَلَيْسَ مُرْسَلًا مُطْلَقًا، فَالْحُزْنُ الْهَادِفُ وَالْفَرَحُ الْهَادِفُ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ، فَلَا شَيْءَ مُنْفَلِتُ الزَّمَانِ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ سَوَاءٌ تَعَلَّقَ بِالْمَشَاعِرِ، أَمْ تَعَلَّقَ بِالْعَوَاطِفِ، أَمْ تَعَلَّقَ بِالْعَقْلِ، أَمْ تَعَلَّقَ بِالْجَوَارِحِ، بَلْ كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَضْبُوتَةٌ بِضَابِطِ الشَّرْعِ، وَمَحْكُومَةٌ بِقَيْدِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ.

الرَّسُولُ ﷺ فِي عَاطِفَةِ الْحُزْنِ يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخِذُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ﷺ -» (١).

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُذْهِبُ اللَّبَّ وَتَذْهَبُ بِالْعَقْلِ؛ قَيْدَهَا الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ بِقَوَاعِدَ وَأُصُولٍ، يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ، وَإِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ، وَلَا نَقُولُ فِي النَّهْيَةِ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا» (٢).

(١) أخرجه البخاري في (الجنائز، ٤٤، رقم ١٣٠٤)، ومسلم في (الجنائز، ٦: ٤، رقم ٩٢٤)، من حديث: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في (الجنائز، ٤٤، رقم ١٣٠٤)، ومسلم في (الجنائز، ٦: ٤، رقم ٩٢٤)، من حديث: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ...» الحديث.

وَفِي الْفَرَحِ كَذَلِكَ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فَإِذَنْ؛ الْفَرَحُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَبِرَحْمَتِهِ، وَتَعَلَّمَ أَنَّهُ لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُتْنَهَاهُ الْجَنَّةُ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ حَتَّى يَطَأَ بِقَدَمِهِ الْجَنَّةَ. (*)

لِيَكُنِ الْمُسْلِمُ فَرِحًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِإِدْرَاكِ رَمَضَانَ، وَعَمَلٍ مَا تيسَّرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَالْقِرَاءَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. (*) (٢/).

وَقَالَ ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ» (٣). (*) (٣/).

«وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «عِنْدَ فِطْرِهِ»: أَنَّهُ أَتَمَّ هَذَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَتَمَّ هَذَا الصَّيَامَ، فَيَفْرَحُ لِأَنَّهُ أَتَمَّ الصَّيَامَ، يَفْرَحُ بِإِكْمَالِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَوْنِهِ وَفَّقَ لِإِتِمَامِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «أَحْكَامُ الْعِيدِ وَالصَّلَاةِ فِي الْمُصَلَّى».

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «خِتَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ - ١٠-٧-٢٠١٥ م.

(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: ٨٠٧/٢، رَقْمُ (١١٥١).

(*) (٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «بَيَانُ فَضَائِلِ الصَّوْمِ وَشَهْرِ رَمَضَانَ وَأَحْكَامُ بَيْنَ يَدَيِ رَمَضَانَ» - الْإِثْنَيْنِ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧ هـ | ٢٨-٨-٢٠٠٦ م.

الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا أَكْمَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ يَحْصُلُ الْفَرْحُ الْأَكْبَرُ؛ لِكَوْنِهِ أَتَمَّ الشَّهْرِ كَامِلًا، وَهُوَ كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَمَا يُفْطِرُ يَفْرَحُ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ، وَإِذَا أَكْمَلَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَوْ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا فَإِنَّهُ يَفْرَحُ؛ لِأَنَّهُ أَدَّى هَذِهِ الْعِبَادَةَ، وَأَفْطَرَ مِنْهَا بَعْدَ إِتْمَامِهَا؛ وَلِهَذَا وَجَبَ إِفْطَارُ يَوْمِ الْعِيدِ، وَحُرْمَ صِيَامِهِ، وَلَا يَجُوزُ صِيَامُهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَعِيدُ الْفِطْرِ نُسَبَ إِلَى الْفِطْرِ؛ لِأَنَّهُ شَكَرَ اللَّهُ ﷻ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَهُوَ لَيْسَ فِي الشَّهْرِ، وَلَكِنَّهُ خَارِجَ الشَّهْرِ»^(١).

إِنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ وَقِيَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا مِنْ أَسْبَابِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الْآثَامِ، فَالْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِإِكْمَالِهِ الصَّوْمِ وَالْقِيَامِ، وَلِتَخْلُصِهِ بِهِ مِنَ الْآثَامِ، وَضَعِيفُ الْإِيْمَانِ يَفْرَحُ بِإِكْمَالِهِ لِتَخْلُصِهِ مِنَ الصِّيَامِ الَّذِي كَانَ ثَقِيلًا عَلَيْهِ ضَائِقًا بِهِ صَدْرُهُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرَحَيْنِ عَظِيمٌ!!^(*).

وَمِنْ مَظَاهِيرِ الْفَرْحِ الْمَشْرُوعِ فِي الْأَعْيَادِ: التَّوَسُّعَةُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، «فَفِي الْعِيدِ يَتَبَادَلُ النَّاسُ الْهَدَايَا، يَعْنِي: يَصْنَعُونَ الطَّعَامَ، وَيَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَجْتَمِعُونَ وَيَفْرَحُونَ، وَهَذِهِ عَادَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، حَتَّى إِنَّ أَبَا

(١) مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» لِلْعَلَّامَةِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْعَبَّادِ الْبُدْرِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - (٢٢/١٤١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «خِتَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ | ١٠ -

بَكَرٍ ﷺ لَمَّا دَخَلَ عَلَى بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ جَارِيَتَانِ تَغْنِيَانِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ انْتَهَرَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُمَا»^(١)، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُمَا جَارِيَتَانِ، قَالَ: «دَعُهُمَا فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ»، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّرْعَ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- مِنْ تَيْسِيرِهِ وَتَسْهِيلِهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ فَتَحَ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ.

وَهَذَا مِنْ بَابِ مُعَامَلَةِ النَّفُوسِ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَيَّامَ الْعِيدِ تَقْتَضِي الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ، فَلْيُجْعَلْ لِلنَّفْسِ حَظًّا مِنَ الْإِنْطِلَاقِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، لَكِنْ بِشَرَطٍ أَلَّا يُفْضِيَ إِلَى شَيْءٍ مُحَرَّمٍ، فَلَوْ جَاءَ إِنْسَانٌ وَقَالَ: أَنَا أَرْغَبُ الْمُوسِيقَى وَأَغَانِي فَلَانَةٍ وَفُلَانٍ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ، نَقُولُ لَهُ: هَذَا حَرَامٌ؛ لِأَنَّ الْفَرَحَ إِذَا وَصَلَ إِلَى حَدٍّ مَمْنُوعٍ شَرْعًا يَجِبُ أَنْ يُوقَفَ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ انْطِلَاقًا مُشِينًا، حُرِيَّةٌ عَلَى حِسَابِ رِقٍّ؛ لِأَنَّ الْحُرِّيَّةَ الْمُخَالَفَةَ لِلشَّرْعِ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ رِقٌّ، وَالَّذِي اسْتَرَقَّ الشَّيْطَانُ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «النُّونِيَّةِ»:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ = وَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

فَالرِّقُّ الَّذِي خُلِقْنَا لَهُ الرِّقُّ لِلَّهِ ﷻ، فَنَحْنُ عِبِيدُ اللَّهِ كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ-:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ: اسْتَعْبَدَتْهُمُ نَفُوسُهُمْ وَشَيَاطِينُهُمْ حَتَّى تَرَكُوا الْهُدَى، وَاتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ، فَمَثَلًا إِذَا وَصَلَ حَدُّ الْفَرَحِ إِلَى حَدٍّ مَمْنُوعٍ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٦)، ومسلم (٨٩٢).

شُرْعًا؛ وَجَبَ إِيقَافُهُ، أَمَّا الْحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُضَيِّقَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ ﷺ مَا وَسَّعَهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَنَحْنُ جَمِيعًا نَتَعَبَّدُ لِلَّهِ بِشَرْعِ اللَّهِ، وَلَسْنَا الَّذِينَ نَحْكُمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْعِبَادِ هُوَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، فَاللَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَلَا أَنْ يُحَلِّلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ^(١).

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ائْتَنَّ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْأَعْيَادِ، وَجَعَلَ فِيهَا تَوْسِعَةً عَلَى الْعِيَالِ، وَجَعَلَ فِيهَا -أَيْضًا- تَوْسِعَةً وَتَرْوِيحًا عَنِ النَّفْسِ بِشَرَطِ أَلَّا يَتَأْتَى مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ يُغْضِبُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَمْثَالِ مَا يَتَأْتَى فِي يَوْمِ الْعِيدِ!!

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لَنَا فِي الْعِيدِ تَرْوِيحًا عَنِ النَّفْسِ، جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا فِي الْعِيدِ فُسْحَةً، «حَتَّى إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَفِي بَيْتِهِ جَارِيَتَانِ تَغْنِيَانِ بِغِنَاءٍ بُعَاثٍ -وَهُوَ يَوْمٌ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَعَتْ فِيهِ مَوْقِعَةٌ مِنَ الْمَوَاقِعِ وَتُكَلِّمُ فِيهِ بِشَعْرٍ، أُنْشِدَ فِيهِ شَعْرٌ وَقِيلَ-، فَكَانَتْ هَاتَانِ الْجَارِيَتَانِ تَغْنِيَانِ لَا بِمُصَاحَبَةٍ أَوْ كِسْتَرًا!! وَلَا بِوُجُودِ مَا يَسْتَرُونَ!! وَلَا بِوُجُودِ صِنْجَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْأَلَاتِ الَّتِي هِيَ مَزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ، «وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُعْجِبْهُ هَذَا الْحَالُ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوْلَ وَجْهَهُ -أَعْرَضَ عَنْ هَذَا، فَحَوَّلَ وَجْهَهُ

(١) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد السادس عشر - باب

ﷺ وَأَعْرَضَ -، وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ انْتَهَرَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَالَ: «مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!!».

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «دَعُهُمَا!»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزَتْهُمَا، فَخَرَجَتَا^(١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدُرُ لِلْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةَ السَّنَّ قَدَرَهَا.

فَإِظْهَارُ الشُّرُورِ فِي الْأَعْيَادِ مِنْ شِعَارِ الدِّينِ.. مِنْ شِعَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنْ تُظْهَرَ الشُّرُورُ فِي الْأَعْيَادِ، وَلَكِنْ شُرُورٌ لَا يُغْضِبُ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. (*).

قَالَ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ﷻ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا؛ حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»^(٣).

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى إِدْخَالِ الشُّرُورِ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ خَاصَّةً الْفُقَرَاءَ، وَالْمَسَاكِينَ، وَذَوُوا الْحَاجَةِ؛ فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وَجَمَعَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى^(٤)،

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَقْطَعٍ بِعُنْوَانٍ: «إِظْهَارُ الشُّرُورِ يَوْمَ الْعِيدِ مِنْ شِعَارِ الْإِسْلَامِ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ مَا جَاءَ إِنْ الْأَعْمَالُ بِالْيَتَةِ وَالْحِسْبَةِ... (٥٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الْوَصِيَّةِ: بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْثُلُثِ، (١٦٢٨)، مِنْ حَدِيثِ: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤ / ٢٢٨٧، رَقْم (٢٩٨٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظٍ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى.

يَعْنِي: أَنَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ؛ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِسَبَبِ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمَهُ فِي الدُّنْيَا. (*)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينِ كَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢). (٢/*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابُ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا لَهُ (ص ٧٠٢ - ٧٠٣).

(٢) «الأدب المفرد» للبخاري: ص ٤٤، رقم (١٣١)، ط ١، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٧٥ هـ)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا فِي «الصَّحِيحِ»: ٩/٤٩٧، رقم (٥٣٥٣)، وفي: ١٠/٤٣٧، رقم (٦٠٠٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤/٢٢٨٦، رقم (٢٩٨٢).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ - بَعْضُ اخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ - مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابُ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا (ص ٦٩٤-٦٩٩).

الْعِبَادَةُ لَا تَنْقَطِعُ بَعْدَ رَمَضَانَ

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ إِلَى آخِرِ نَفْسٍ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنْ الدُّنْيَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ -إِلَى الْغُرُورَةِ- عِبَادَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ.

فَالْعِبَادَةُ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا..

وَالْعَبْدُ الصَّالِحُ، الْحَاذِقُ الْكَيِّسُ، الْعَارِفُ بِصَالِحِهِ، الشَّحِيحُ عَلَى آخِرَتِهِ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيَأْتِي بِهِ، وَيَلْبَسُ لِكُلِّ حَالٍ لِبُوسَهَا!!

نَعَمْ؛ لِأَنَّ لِلْمَرَضِ عُبودِيَّةً، وَلِأَنَّ لِلصَّحَّةِ عُبودِيَّةً، وَلِأَنَّ لِلْفَرَحِ عُبودِيَّةً، وَلِأَنَّ لِلْمَوْتِ عُبودِيَّةً. (*)

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٣ / ١٩٠، رقم (٣١١٦)، من حديث: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.

والحديث حسنه الألباني في «إرواء الغليل»: ٣ / ١٤٩، رقم (٦٨٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «كُنْ رَبَّانِيًّا!» - الْجُمُعَةُ ٣٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨ هـ | ١٢-١٠-

إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ يُعَلِّمُنَا بِصِيَامِهِ كَيْفَ نَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْ بَعْضِ مَا تُحِبُّ؛ حَتَّى نُحِسَ بِالْمَحْرُومِ حَقًّا وَصِدْقًا.

وَهَذَا مُمْتَدٌّ فِي سَائِرِ الْعَامِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ: مَا يَكُونُ بِعَقِبِ عِيدِ الْفِطْرِ (*)؛ فَذَلِكُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ؛ فَهُوَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (٢) يَعْنِي: كَصِيَامِ الْعَامِ.

ثُمَّ وَضَحَ ذَلِكَ ﷺ - فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ الصَّحِيحِ -، فَقَالَ: «الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَشَهْرٌ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَسِتَّةُ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ؛ فَهَذَا تَمَامُ السَّنَةِ» (٣).

وَأَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فِعْلِ الصِّيَامِ فِي الْقَلْبِ تَزَكِيَةً وَتَطْهِيرًا؛ فَقَالَ ﷺ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبَنَّ وَحَرَ الصَّدْرِ» (٤) أَيُّ: غِشَاهُ، وَحَقْدَهُ، وَوَسَاوِسَهُ، وَسُوءَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «وَمَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ شَوَالٍ ١٤٣١ هـ | ١٠-٩-٢٠١٠ م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢ / ٨٢٢، رَقْمَ (١١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «السُّنَنِ»: ١ / ٥٤٧، رَقْمَ (١٧١٥) مُخْتَصَرًا.

وَأَخْرَجَهُ بِتَمَامِهِ: أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: ٥ / ٢٨٠، وَالدَّارِمِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ»: ٢ / ١١٠١، رَقْمَ (١٧٩٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى»: ٣ / ٢٣٩، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣ / ٢٩٨، رَقْمَ (٢١١٥)، مِنْ حَدِيثِ: ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: ١ / ٥٨٩، رَقْمَ (١٠٠٧).

(٤) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ»: ٤ / ٣٠٠ وَ ٣٠١، رَقْمَ (٧٨٧٧)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»: ١ / ٢٧٩، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: ٥ / ٧٧ وَ ٧٨ وَ ٣٦٣، وَابْنُ حَبَانَ فِي

صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ؛ مَضْمُومًا إِلَيْهِ أَنْ يَصُومَ الْمُسْلِمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: الثَّالِثَ عَشَرَ، وَالرَّابِعَ عَشَرَ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ، وَهِيَ الْقَمَرِيَّةُ مِنَ الشَّهْرِ الْعَرَبِيِّ الْهَجْرِيِّ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَاوِسَ قَلْبِهِ، وَشُكُوكَ فُرَادِهِ، وَطَهَّرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَدْرَهُ مِنَ الْغِشِّ، وَالْحَقْدِ، وَالْغِلِّ، وَالْحَسَدِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ تَتَزَكَّى الْقُلُوبُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَيْهِ رَبُّنَا الْكَرِيمُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ ﷺ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، كَانَ عَمَلُهُ دَائِمًا لَا يَنْقَطِعُ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ.

=

«الصحيح» بترتيب ابن بلبان: ١٤/٤٩٧، رقم (٦٥٥٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط»: ٥/١٥٩، رقم (٤٩٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: ٦/٣٠٣ و٣٠٤، رقم (١٢٧٤٩)، من حديث: أَعْرَابِي صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ». وفي رواية: «إِنْ مِمَّا يُذْهِبُ كَثِيرًا مِنْ وَحَرِ الصَّدْرِ صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»، وفي أخرى: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرِ الصَّدْرِ فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١/٥٩٩، رقم (١٠٣٣)، وروى عن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبي ذر رضي الله عنهم بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «كُنْ رَبَّانِيًّا!» - الْجُمُعَةُ ٣٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨هـ | ١٢-١٠ -

فَلْتَكُنْ مُوَظِّبًا عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، وَلَكِنْ دَائِمٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّكَ إِنْ دَاوَمْتَ عَلَيْهِ؛ كَانَ سَجِيَّةً وَعَادَةً، فَلَا تَكَادُ النَّفْسُ تَنْقَطِعُ عَنْهُ بَعْدُ حَيْنًا إِلَيْهِ، وَإِقْبَالًا عَلَيْهِ، وَأَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ. (*)

النَّبِيُّ ﷺ يَعْْبُدُ رَبَّهُ؛ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي إِلَّا يُفَرِّطَ فِيهَا الْعَبْدُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ فَرَّطَ فِيهَا لَا يَكُونُ إِنْسَانًا، إِنَّمَا خَلَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادَتِهِ.

فَكَانَ ﷺ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ - أَيْ: تَتَشَقَّقَ - حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ. فَيَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!!

قَالَ: «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا» ﷺ (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «وَمَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣١ هـ | ١٠-٩-٢٠١٠ م.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٨ / ٥٨٤، رقم (٤٨٣٧)، ومسلم في «الصحيح»: ٤ / ٢١٧٢، رقم (٢٨٢٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».

والحديث في «الصحيحين» أيضا من رواية: المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ»، وفي لفظ: «حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ».

إِذَا انْقَضَى رَمَضَانُ، وَذَهَبَ الْقِيَامُ فِي الْمَسَاجِدِ مَعَ الْإِمَامِ؛ فَهَلِ انْقَضَى قِيَامُ اللَّيْلِ؟!!!

النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، لَا فِي الْحَلِّ وَلَا فِي التَّرْحَالِ، بَلْ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ وَهُوَ مُسَافِرٌ عَلَى دَابَّتِهِ ﷺ، يَتَوَجَّهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَيَأْتِي بِالتَّحْرِيمَةِ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَتَى تَوَجَّهَتْ بِهِ رَكَائِبُهُ - وَلَوْ كَانَ مُسْتَدْبِرًا لِلْقِبْلَةِ عَلَى حَسَبِ السَّفَرِ الْقَاصِدِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ -.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمُدُّ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصْلِحُ الْقُلُوبَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا يُزَكِّي الْأَرْوَاحَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ؛ بَلْ إِنَّ جَبْرِيلَ يَأْتِي بِذَلِكَ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ - لَا مَحَالَةَ مُفَارِقُهُ، لَا خُلُودَ هَاهُنَا، وَلَمْ يَخْلُقْنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الدُّنْيَا لِلْخُلُودِ، وَإِنَّمَا لِلْمَوْتِ -.

وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ - مَهْمَا كَانَ لَذْعُ الْأَلَمِ فِي الْقُلُوبِ لَا ذِعَا، وَمَهْمَا كَانَ لَهَيْبُ الْفِرَاقِ فِي النُّفُوسِ مُتَأَجِّجًا؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْفِرَاقِ - وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَأَنَّ عِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: ٣٠٦/٤، رقم (٤٢٧٨)، والحاكم في «المستدرک»: ٣٢٤/٤ و ٣٢٥، رقم (٧٩٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٢٥٣/٣، ترجمة (٢٤٠)، والقضاعي في «المسند»: ٤٣٥/١، رقم (٧٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ١٢٥/١٣ و ١٢٦، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ».

«مَنْ قَامَ فِي اللَّيْلِ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ فِي اللَّيْلِ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ فِي اللَّيْلِ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»؛^(١) الَّذِينَ تَحَصَّلُوا عَلَى قِنطَارٍ مِنَ الْأَجْرِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «مِنْ سُورَةِ ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ أَلْفُ آيَةٍ».

فَمَنْ قَامَ بِهِذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ تَحَصَّلَ عَلَى قِنطَارٍ مِنَ الْأَجْرِ.
بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُخْبِرُ دَاعِيًا بِالرَّحْمَةِ لِرَجُلٍ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ قَامَتْ تُصَلِّي وَإِلَّا نَضَحَ فِي وَجْهَهَا الْمَاءَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهَهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ».

=

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٤٠١/١، رقم (٦٢٧)، وفي «الصحيحه»: ٤٨٣/٢، رقم (٨٣١)، وروي عن علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنحوه.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٥٧/٢، رقم (١٣٩٨)، من حديث: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه الألباني في «الصحيحه»: ٢٤١/٢، رقم (٦٤٢)، ذكر له شواهد من رواية ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «الترغيب والترهيب» للمنذري: ٤٤٠/١، (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٣، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م).

ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»^(١).

هَذَا دُعَاءٌ بِالرَّحْمَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ.

هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ -الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ- لَا يَنْقَطِعُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ سَاكِنًا غَيْرَ مَرِيٍّ، لَا يُرَأَى بِهِ فِي الْبُيُوتِ فِي أَجْوَاهِهَا، فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَتَعَبَّدُ الْمُسْلِمُ لِرَبِّهِ.

وَأَمَّا فِي رَمَضَانَ؛ فَيُظْهَرُ ذَلِكَ فِي مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْجَاهِلُ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ دَرَسًا عَمَلِيًّا، فَكَمَا قَامَ فِي رَمَضَانَ يَقُومُ فِي سَائِرِ الْعَامِ.

عِبَادَ اللَّهِ! الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»: ٣٣/٢ وَ ٧٠، رَقْم (١٣٠٨ وَ ١٤٥٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى»: ٣/٢٠٥، وَابْنُ مَاجَهَ فِي «السَّنَنِ»: ٤٢٤/١، رَقْم (١٣٣٦)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ لغيره الألباني في «صحيح أبي داود»: ٥١/٥، رَقْم (١١٨١).
(٢) أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيُّ فِي «تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ»: ص ٦٤٥، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ»: ص ٣٦٧ وَ ٣٦٨، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ»: ١٠/٥٣٣، رَقْم (٣٠١٨٧)، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ فِي «حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ»: ص

الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ؛ كُلُّ حَرْفٍ يَقْرَأُهُ الْمُسْلِمُ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، «لَا أَقُولُ ﴿آلَمْ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

يُزَكِّي الْقُلُوبَ.. يُطَهِّرُ الْأَرْوَاحَ.. يَتَعَلَّمُ الْعَبْدُ بِتِلَاوَتِهِ دِينَهُ، وَيَعْرِفُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِذَا عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ وَخَافَهُ، فَلَمْ يَتَوَرَّطْ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَاسْتَقَامَ - حِينَئِذٍ - عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَنَبِيِّكُمْ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ كِتَابَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُرْتَلُّ فِي الصَّلَوَاتِ، يُصَلِّي بِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَتَدَارَسُهُ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَدَارَسُهُ جَبْرِيلُ مَعَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

الْقُرْآنُ يَعْقِدُ الْعَبْدَ بِهِيَ الصَّلَاةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَهُ عِزًّا وَذِكْرًا وَشَرَفًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

=

٣٤٣ و ٣٤٤، والبزار في «المسند»: ١١ / ٢٣٦ رقم (٥٠٠٩)، والنسائي في «السنن الكبرى»: ٧ / ٢٤٧ و ١٠ / ٢٠٥ و ٣٤١، والطبري في «جامع البيان»: ٢ / ١٤٤ و ١٤٥، والطبراني في «المعجم الكبير»: ١٢ / ٣٢ و ٤٤، والحاكم في «المستدرک»: ٢ / ٢٢٢ و ٢٢٣، وابن منده في «الإيمان»: ٢ / ٧٠٤ و ٧٠٥، بإسناد صحيح، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوحِيَ مِنْهُ شَيْئًا أَوْحَاهُ، فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾».

وهو قول الربيع بن أنس، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، والسدي، وغيرهم.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥ / ١٧٥، رقم (٢٩١٠)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

والحديث جود إسناده الألباني في «الصحيحة»: ٧ / ٩٧٠، رقم (٣٣٢٧).

فَإِذَا أَخَذْتَ بِهِ؛ كَانَ لَكَ شَرَفًا وَعِزًّا وَذِكْرًا فِي الْحَيَاةِ، وَكَانَ لَكَ نُورًا فِي الْقَبْرِ، وَمُدَافِعًا عَنْكَ إِذَا مَا هُمَّ بِكَ بِإِنْزَالِ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وَيَكُونُ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَفِيعًا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ لَكَ نُورًا عَلَى الصِّرَاطِ تَصِلُ بِهِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ.

الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ شَرَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ ذِكْرُهَا، وَهُوَ عِزُّهَا، فَمَهْمَا تَرَكْتُهُ تَوَرَّطْتُ فِي الْمَذَلَّةِ، وَتَوَرَّطْتُ فِي الْإِنْحِطَاطِ، وَمَهْمَا أَخَذْتُ بِهِ عَلْتُ وَسَمَتُ وَارْتَفَعْتُ، وَدَانَتْ لَهَا الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَدِينُ إِلَّا لِكِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ قَدَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ فِي الدُّنْيَا «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»^(١).

يُعِزُّهُمْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَرْفَعُهُمْ، وَيَذِلُّ أَقْوَامًا أَعْرَضُوا عَنْهُ وَكَذَّبُوهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»^(٢).

(١) أخرج مسلم في «الصحیح»: ٢٠٣ / ١، رقم (٢٢٣)، من حديث: عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْعُصْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ، قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

(٢) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٤٦٥ / ١، رقم (٦٧٣)، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ...» الحديث.

فَالْقُرْآنُ يُقَدَّمُ صَاحِبُهُ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ يَدْفِنُ شَهِدَاءَ أَحَدٍ؛ لَمْ تَكُنِ الْأَكْفَانُ الصَّالِحَةَ عَلَى قَدْرِ الشُّهَدَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ رُبَّمَا جَمَعَ الرَّجُلَيْنِ فِي كَفْنٍ وَاحِدٍ ﷺ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْفِنَهُمَا قَالَ: «أَيُّهُمَا كَانَ أَكْثَرَ قُرْآنًا؟».

فَيُقَالُ: فَلَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَيَقْدُمُهُ فِي الْقَبْرِ (١).

يُقَدَّمُ الْقُرْآنُ النَّاسَ حَتَّى فِي الْقُبُورِ.

وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَتَأْجُ الْكَرَامَةِ، وَتَأْجُ الْخُلْدِ الَّذِي يَجْعَلُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلَّذِينَ أَقْبَلُوا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَتَعَلَّمُوهُ وَعَمِلُوا بِهِ، وَهَذَا شَرْطٌ.

وَلَا يَنْقُضِي الْإِقْبَالَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ بِانْقِضَاءِ رَمَضَانَ، بَلْ لَا تَنْقُضِي الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْمَوْتِ ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. (*)



(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ١٩٥/٣، رقم (٣١٣٦)، والترمذي في «الجامع»: ٣٢٦/٣، رقم (١٠١٦)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَثُرَ الْقَتْلُ يَوْمَ أَحَدٍ وَقَلَّتِ الثِّيَابُ، فَكَفَّنَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ عَنْهُمْ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرَ قُرْآنًا»، فَيَقْدُمُهُ إِلَى الْقَبْلَةِ... الحديث. والحديث حسنه الألباني في «أحكام الجنائز»: ص ٥٩ و ٦٠، رقم (٣٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «كُنْ رَبَّانِيًّا!» - الْجُمُعَةُ ٣٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨ هـ | ١٢-١٠-

نَصِيحَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلنِّسَاءِ يَوْمَ الْعِيدِ

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ لِلرِّجَالِ؛ تَوَجَّهَ إِلَى النِّسَاءِ يَعِظُهُنَّ، يَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١ / ٤٠٥، رقم (٣٠٤) و ٣ / ٣٢٥، رقم (١٤٦٢)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ».

فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ،...» الحديث.

والحديث بنحوه أخرجه مسلم في «الصحيح»: ٢ / ٦٠٣، رقم (٨٨٥)، من رواية: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، بلفظ: «تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ حَطَبُ جَهَنَّمَ»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَّةِ النِّسَاءِ، سَفَعَاءُ الْخَدَّيْنِ، فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «لِأَنَّكُمْ تَكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»... الحديث، وأصله في «الصحيحين» مختصراً.

ورد الحديث بلفظ: «...، اطلَّعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» من حديث ابن عباس في «الصحيحين» وسيأتي، ومن حديث: عمران في «صحيح البخاري».

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا»^(١).

عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي نَفْسِهَا، فِي عَرْضِهَا، فِي لَحْمِهَا، فِي دَمِهَا، فِي بَيْتِهَا، فِي زَوْجِهَا، فِي أَبْنَائِهَا، فِي دِينِهَا وَأُمَّتِهَا، فِي وَطَنِهَا، أَلَّا تَكُونَ مَثَارَ فِتْنَةٍ تَضِيعُ بِسَبَبِهَا الْأَعْمَارُ، وَتُهْدَرُ بِسَبَبِهَا الْقُورَى.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ؛ يَكْفُرْنَ».

قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟

قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا؛ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ!!»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٣/ ١٦٨٠ و ٤/ ٢١٩٢، رقم (٢١٢٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١/ ٨٣، رقم (٢٩)، ومسلم في «الصحیح»: ٢/ ٦٢٦، رقم (٩٠٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرج مسلم أيضا: ٤/ ٢٠٩٦، رقم (٢٧٣٧)، من طريق آخر، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، والحديث بمثله في «صحیح البخاري»: ٩/ ٢٩٨، رقم (٥١٩٨)، من رواية: عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الباب عن ابن عمر، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بنحوه.

جُحُودٌ وَنُكْرَانٌ؛ وَلَكِنْ هَكَذَا النِّسَاءُ، «خَلَقَهَا اللَّهُ -أَي: الْمَرْأَةَ- مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ أَنْتَ ذَهَبْتَ تَقِيْمُهَا؛ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا؛ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا عَلَى عَوَجٍ»^(١). (*)



(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٣٦٣/٦، رقم (٣٣٣١)، ومسلم في «الصحيح»: ١٠٩١/٢، رقم (١٤٦٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تَقِيْمُهَا كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ». وفي رواية لهما: «إِنَّ الْمَرْأَةَ كَالضِّلَعِ، إِذَا ذَهَبْتَ تَقِيْمُهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ»، وفي رواية لمسلم: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تَقِيْمُهَا، كَسَرْتَهَا، وَكَسَرَهَا طَلَأَتْهَا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «خُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ لِعَامِ ١٤٣٦ هـ: خَوَارِجُ الْعَصْرِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٦ هـ | ١٧-٧-٢٠١٥ م.

تَذَكَّرُوا بِجَمْعِكُمْ يَوْمَ حَشْرِكُمْ!

هَذَا الْيَوْمُ عِيدُكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -، تَجْتَمِعُونَ فِيهِ، تُكَبِّرُونَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، تَحْمَدُونَهُ.

فَتَأَمَّلُوا فِي حَالِكُمْ - فِي جَمْعِكُمْ -؛ حَتَّى تَتَذَكَّرُوا بِهِ جَمْعَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ حَشَرَكُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَالْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الْمُتَكَلَّمُ، وَلَا يَخْفَى عَلَى رَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُمْ شَيْءٌ^(١)، فَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامٍ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ^(٢).

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٣٧٠ / ٦، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم في «الصحيح»: ١٨٤ / ١ و ١٨٥، رقم (١٩٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟» يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ... الحديث.

(٢) أخرج أبو داود في «السنن»: ٢٤٠ / ٤ و ٢٤١، رقم (٤٧٥٥)، من حديث: عَائِشَةَ، أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ

لَيْسَ الْعِيدُ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ، إِنَّمَا الْعِيدُ فِيَمَنْ طَاعَاتُهُ تَزِيدُ.

تَأْمَلِ الْيَوْمَ فِي حَالِكَ، وَكَيْفَ مَضَى عَلَيْكَ مَوْسِمُ الطَّاعَةِ الَّذِي رُبَّمَا لَنْ
أُدْرِكَهُ وَلَنْ تُدْرِكَهُ، يَعْلَمُ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ؛ مَاذَا صَنَعْتَ!!؟

وَمَاذَا قَدَّمْتَ!!؟

وَمَاذَا أَنْتَ نَاوٍ أَنْ تَصْنَعَ بَعْدُ!!؟

إِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ لَا هَزَلَ فِيهِ. (*)



تَذَكُّرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ
أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخْفُ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ ﴿هَآؤُمْ
أَقْرَأُوا كِتَابَكُمْ﴾ [الحاقة: ١٩] حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ
ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «حُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٣٧ هـ: اتَّقُوا الظُّلْمَ» - الْأَرْبَعَاءُ ١ مِنْ سُؤَالِ

الْحَثُّ عَلَى التَّعَاوُنِ وَالْاجْتِمَاعِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ

عِبَادَ اللَّهِ! النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِتَمَاسُكِ الصُّفُوفِ..

الرَّسُولُ ﷺ يُحَرِّمُ التَّدَابُرَ، وَيُحَرِّمُ التَّقَاطُعَ، وَيُحَرِّمُ التَّشَاجُرَ..

النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ..

وَيَأْمُرُنَا النَّبِيُّ ﷺ بِصِلَةِ الرَّحِمِ الْأَمْسِّ الْأَقْرَبِ؛ فَيَأْمُرُ النَّبِيُّ ﷺ بِرِّ

الْوَالِدَيْنِ، وَيَنْهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْعُقُوقِ.

النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لَنَا عِظَمَ حَقِّ الْأُمِّ عَلَى الْعَبْدِ..(*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ» - الْجُمُعَةُ: ٧-٦-٢٠٠٢ م.

قِصَّةُ الْأُمَّةِ الْقُدُسِ وَالْأَقْصَى

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وَاقِعُ الْيَمِّ؛ فَإِنَّ قِصَّةَ الْأُمَّةِ قِصَّةَ فَلَسْطِينَ لَا يَعْرِفُ عَنْهَا
النُّخْبَةُ وَالْمُتَقَفُّونَ وَالْبَاحِثُونَ - فَضْلاً عَمَّنْ دُونَهُمْ -؛ لَا يَعْرِفُونَ عَنْهَا شَيْئاً!!

مَا هِيَ الْقِصَّةُ؟!!!

كَيْفَ بَدَأَتْ، وَإِلَى أَيْنَ سَتَتَتْ؟!!!

وَمَا هِيَ الْمُنْعَطَفَاتُ وَالْدُّرُوبُ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا؟!!!

وَمَا هِيَ الْكُھُوفُ الَّتِي حِكَّتْ فِيهَا الْمُؤَامِرَاتُ، وَصُنِعَتْ فِيهَا الْمُخَادَعَاتُ؟!!!

مَنْ وَرَاءَ السِّتَارِ الَّذِي يُحَرِّكُ - بِخُيُوطٍ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - تِلْكَ الدُّمَى الْمُتَحَرِّكَةَ

يَمِيناً وَشَمَالاً؟!!!

وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ مَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ الْحَقَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ زَيْفٌ

وَبَاطِلٌ وَزُورٌ، وَالْحَقُّ لَا يَدْرِيه أَصْحَابُ الْقِصَّةِ أَنْفُسُهُمْ!!

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: لَوْ أَنَّنَا تَكَلَّمْنَا عَنِ الْقُدُسِ، وَعَنْ قِصَّةِ فَلَسْطِينَ، وَتَكَلَّمْنَا عَنْ

هَذِهِ الْمُؤَامِرَةِ؛ مِنْ أَجْلِ اسْتِلابِ وَطَنِ، وَتَشْرِيدِ شَعْبٍ، وَتَدْمِيرِ حَضَارَةٍ؛ مَا قِيَمَةُ

أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ؟!!!

قِيمَتُهُ: أَنْ تَظَلَّ الْقَضِيَّةُ حَيَّةً فِي نَفُوسِ أَصْحَابِهَا، مُتَيَقِّظَةً مُتَأَلِّقَةً فِي جَوَانِحِ أَرْبَابِهَا، وَهُمْ الْمُسْتَهْدِفُونَ بِالْإِبَادَةِ، وَاسْتِلَابِ الْأَرْضِ، وَتَمْزِيقِ الْعَرْضِ وَهَتِكِهِ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: مَا قِيمَةُ الْكَلَامِ وَهُوَ لَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا وَلَنْ يُفِيدَ!!؟

بَلْ يَصْنَعُ وَيُفِيدُ، لَا بُدَّ أَنْ تَظَلَّ الْقَضِيَّةُ حَيَّةً مُتَيَقِّظَةً فِي نَفْسِ كُلِّ مُسْلِمٍ -وَوَسَّعِ الدَّائِرَةَ-، وَفِي نَفْسِ كُلِّ عَرَبِيٍّ؛ لِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَعْدَاءُ الْقِيَمِ، وَأَعْدَاءُ الْمُثُلِ. (*)

الْقَضِيَّةُ مَيِّتَةٌ فِي وَجَدَانِ الْمُسْلِمِينَ؛ حَتَّى إِنْ مَنْ تَكَلَّمَ، وَمَنْ اسْتَنْكَرَ، وَمَنْ عَلَّمَ، وَمَنْ نَبَّهَ، وَمَنْ وَضَحَ؛ يُقَالُ لَهُ تَخْذِيلًا: هَلْ هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ الَّذِي سَيَحَرِّرُ الْقُدُسَ!!؟

لَنْ يُحَرِّرَ الْقُدُسَ كَلَامٌ أَيْ كَلَامٌ؛ وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ تُبْعَثَ الْقَضِيَّةُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ تَظَلَّ حَيَّةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا أَنْ تَمُوتَ هَذَا الْمَوَاتَ الْبُشْعَ الشَّنِيعَ!!

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَاللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ؛ إِنَّ بَاطِنَ الْأَرْضِ لَأَشْرَفُ لَنَا مِنْ ظَهْرِهَا مَعَ هَذَا التَّخَاذُلِ، وَهَذَا الْقُعُودِ، وَهَذَا التَّقَاعُسِ، وَهَذَا الْإِنْكِبَابِ عَلَى الْمَلَذَّاتِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ وَنَكْبَةُ فِلَسْطِينَ!!» - ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ | ١٨-٥ -

وَالشَّهَوَاتِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ الَّتِي يُتَحَفُّكُمْ فِيهَا أَعْدَاؤُكُمْ مِنْ إِخْوَانِ الْقِرَدَةِ
وَالْخَنَازِيرِ بِمَا يَسُوؤُكُمْ، وَيَذِلُّ أُنُوفَكُمْ!!

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْكَلَامُ!!

حَتَّى الدُّعَاءُ يَضُنُّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِخْوَانِهِمْ، يَضُنُّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى
بَيْتِ الْمَقْدِسِ، عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، عَلَى فِلَسْطِينَ!!

مَنْ الَّذِي يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ وَغَيْرِهَا، فِي أَزْمَانِ
الْقَبُولِ وَفِي غَيْرِهَا!!

مَنْ الَّذِي يَدْعُو رَبَّهُ بِحُرْفَةٍ مَكْلُومٍ، وَبِأَلَمٍ مَنْ ثَكَلَ وَلَدَهُ وَفِلْدَةٌ كَبِيدَةٍ!!
مَنْ يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُنَجِّي إِخْوَانَنَا فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ مِنَ الْمَجَازِرِ
الَّتِي يُقَدِّمُونَ فِيهَا، وَيَذْبَحُونَ فِيهَا!!

وَالْعَالَمُ كُلُّهُ لَا يُبَالِي بِذَلِكَ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنْ إِنْ اعْتَدِيَ
عَلَى عِلْجٍ مِنَ الْعُلُوجِ فِي أَيِّ صَقْعٍ مِنْ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ؛ خَرَجَتِ الْكِلَابُ
النَّابِحَاتُ تَنْبَحُ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَتَصِفُّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَا هُوَ وَهُمْ مِنْهُ
بَرِيءٌ وَبَرَاءٌ!! وَلَكِنْ هَذَا قَانُونُ الْقُوَّةِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، هُوَ قَانُونُ الْقُوَّةِ!!

وَالْعَالَمُ إِنَّمَا يَحْكُمُهُ قَانُونُ الْقُوَّةِ!!

مَاذَا يَمْلِكُ الْمَرْءُ فِي مِثْلِ هَذَا الضَّعْفِ!!؟!!(*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصَرَةٍ: «يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرُ» - الْأَرْبَعَاءُ ٣٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩هـ |

فَلْنَعْتَذِرْ:

عُذْرًا فَلِسْطِينُ إِذَا لَمْ نَحْمِلِ الْقُضْبَا
وَلَمْ نَقُذِّ نَحْوُكَ الْمَهْرِيَّةَ النَّجْبَا
عُذْرًا فَإِنَّ سُيُوفَ الْقَوْمِ قَدْ صَدَّاتْ
وَخَيْلُهُمْ لَمْ تَعُدْ تَسْتَمِرُّ التَّعَبَ
عُذْرًا فَإِنَّ السُّيُوفَ الْيَوْمَ وَأَسْفَا
تَخَالُهَا الْعَيْنُ فِي أَغْمَادِهَا حَطَبَا
عُذْرًا فَإِنَّ عِتَاقَ الْخَيْلِ مِنْهُكَ
قَدْ أَوْرَثَتْهَا سَيَاطُ الْغَاصِبِ الْوَصَبَا
عُذْرًا فَلِسْطِينُ إِنَّ الدُّلَّ قِيَّ دَنَا
فَكَيْفَ نُبْقِي عَلَيْكَ الدَّرَّ وَالذَّهَبَا
عُذْرًا فَقَوْمُكَ قَدْ مَاتَتْ شَهَامَتُهُمْ
وَنَلَّكَ الدُّلُّ مِنْهُمْ صَارِمًا عَضْبَا
رَأَوْكَ فِي الْأَسْرِ فَاحْمَرَّتْ عِيُونُهُمْ
لِذَاكَ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُمْ غَضَبَا
يَسْتَنْكِرُونَ وَمَا يُغْنِيكَ مَا فَعَلُوا
وَيَشْجُبُونَ وَمَا تَدْرِي مَنْ شَجَبَا

وَاَحْسَرَتْاهُ عَلَى الْأَقْصَى يُدْنِسُهُ
قِرْدٌ وَيَهْتَزُّ فِي سَاحَاتِهِ طَرْبَا
قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى عِزًّا فَوَا كَبِيدِي
أَضْحَى أَسِيرًا رَهِينَ الْقَيْدِ مُغْتَصَبَا
كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَسْرَى الرَّسُولِ وَلَمْ
يُصَلِّ فِيهِ يَوْمُ الصَّفْوَةِ النَّجْبَا
كَأَنَّهُ مَا أَتَى الْفَارُوقُ يُعْتِقُهُ
يَوْمًا وَمَا وَطِئَتْ أَقْدَامُهُ النَّقْبَا
كَأَنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لِلصَّلَاةِ بِهِ
بِلَالٌ يَوْمًا فَفَاضَ الدَّمْعُ مُنْسَكِبَا
كَأَنَّمَا الْأَرْضُ قَدْ أَخْفَتْ مَعَالِمَهُمْ
وَمَزَقَتْ مَا حَوَّوْا مِنْ عِزَّةٍ إِرْبَا
لَهْفِي عَلَى الْقُدْسِ كَمْ جَاسَ الظُّلُومُ بِهَا
وَكَمْ تُقَاسِي صُرُوفَ الدَّهْرِ وَالنُّوبَا
تَعِيَتْ فِيهَا إِلَهُوْدُ الْغُتْمِ مَفْسَدَةً
وَتَزْرَعُ الشَّرَّ وَالْإِرْهَابَ وَالشَّغْبَا
يَسْتَأْسِدُ الْقِرْدُ فِيهَا بَعْدَ خَسَّتِهِ
وَيَرْفَعُ الْهَامَةُ الْخِنْزِيرُ مُغْتَصَبَا

كَمْ أَشْعَلُوا نَارَهُمْ فِيهَا وَكَمْ هَدَمُوا
 مِنْ مَنْزِلٍ وَأَهَانُوا وَالِدًا حَدِيبًا
 وَكَمْ أَسْأَلُوا دُمُوعَ الْمُؤْمِنَاتِ ضَحَا
 وَكَمْ ظَلَمُوا بَغْيَ أَوْ غَاصِبٍ غَضَبًا
 وَكَمْ أَدَارُوا كُؤُوسَ الْمَوْتِ مُتْرَعَةً
 فَأَيُّتُمُوا طِفْلَةً أَوْ شَرَّدُوا عَزَبًا
 صَبْرًا فَمَا اسْوَدَّ مِنْ ذَا اللَّيْلِ جَانِبُهُ
 إِلَّا لِيُؤْذَنَ أَنَّ الْفَجْرَ قَدْ قَرَبَا
 إِنْ اسْتَضَاءَ بِنُورِ الْحَرْبِ جَمْعُهُمْ
 فَعَنْ قَلِيلٍ سَيَغْشَى جَمْعُنَا اللَّهُبَا
 لَنْ نُسْتَكِينَ وَلَنْ نَرْضَى بِهَا بَدَلًا
 غَدًا نَرُدُّ آذَانَ الْحَقِّ وَالسَّلْبَا
 غَدًا نُعِيدُ فِلَسْطِينَ الَّتِي عُهُدَتْ
 مِنْ قَبْلِ سَبْعِينَ عَامًا دَوْحَةً وَرُبَا
 غَدًا نُعِيدُ لَهَا التَّكْبِيرَ تَسْمَعُهُ
 أَذُنُ الدُّنْيَى وَنُعِيدُ الْفِقْهَ وَالْأَدَبَا
 غَدًا نُعِيدُ لَهَا الزَّيْتُونَ نَغْرُسُهُ
 غَرْسًا وَنَزْرَعُ فِيهَا التِّينَ وَالْعِنَبَا

غَدًا سَنَقْلَعُ مِنْهَا كُلَّ غَرْقَدَةٍ

وَنَضْرِبُ الْهَامَ كَيْ مَا نَقْطَعُ الصَّخْبَا^(١). (*)

يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرِ

يَا وَجْهَ أُمِّي يَا كِتَابًا مِنْ عَبِيرِ

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الزَّمَنِ الْمَرِيرِ

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ؟!!

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ؟!!

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فِي الزَّمَنِ الْمَرِيرِ

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ؟!!

هَلْ مِنْ نَصِيرٍ؟!!!^(٣)

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. (*) (٢).



(١) الأبيات من البحر البسيط: للشاعر أحمد بن عطية الزهراني.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ وَنَكْبَةُ فَلَسْطِينِ!!» - ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ | ١٨-٥-

٢٠١٨م.

(٣) للدكتور الشاعر: خالد نمر أبي العمرين.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «يَا قُدُسُ يَا حُبِّي الْكَبِيرِ» - الْأَرْبَعَاءُ ٣٠ مِنْ شَعْبَانَ

١٤٣٩هـ | ١٦-٥-٢٠١٨م.

وَطَنُكُمْ الْإِسْلَامِيُّ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ!!

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْكُلَّ فِي سَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ -سَفِينَةِ الْوَطَنِ-، فَإِنْ كُسِرَتْ
-نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ- غَرِقَ الْجَمِيعُ، لَنْ تَبْقَى حِينَئِذٍ عَدَاوَةٌ تَنْفَعُ، وَالْخِيَانَةُ هِيَ
الْخِيَانَةُ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَفِيمَنْ وَرَاءَكُمْ، وَفِي وَطَنِكُمْ، فِي
تُرَابِكُمْ، فِي أَرْضِكُمْ، فِي هَوَائِكُمْ وَمَائِكُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ أَنْ
تَحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَأَنْ تَدَافِعُوا عَنْهُ.

أَفِيقُوا! اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ الْوَاقِعَةُ -سَلِّمَكُمُ اللَّهُ وَحَمَاكُمُ،
وَسَلِّمَ اللَّهُ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْسَنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ- (*).

أَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَّى أَنْ يُحَافِظَ عَلَيَّ
هَذِهِ الْأُمَّةَ، عَلَيَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ وَعَلَيَّ سَائِرِ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ نَجِّ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَيْدِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «خُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٣٧ هـ: اتَّقُوا الظُّلْمَ» - الْأَرْبَعَاءُ ١ مِنْ سُؤَالِ

١٤٣٧ هـ/ ٦-٧-٢٠١٦ م.

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي بَلَدِنَا وَفِي جَمِيعِ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي قِيَادَتِنَا، وَفِي جَيْشِنَا، وَفِي أَمْنِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ. (*)

أَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَنْ يَرْحَمَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَ أَمْوَاتَنَا وَجَمِيعَ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْخِتَامَ أَجْمَعِينَ؛ إِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «حُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ لِعَامِ ١٤٣٦ هـ: خَوَارِجُ الْعَصْرِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ

شَوَّالِ ١٤٣٦ هـ | ١٧-٧-٢٠١٥ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «حُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٣٧ هـ: اتَّقُوا الظُّلُمَ» - الْأَرْبَعَاءُ ١ مِنْ شَوَّالِ

١٤٣٧ هـ | ٦-٧-٢٠١٦ م.

الفهرس

٣	المُقدِّمة.....
٤	أَوَّلُ أَوَامِرِ اللَّهِ لِلنَّاسِ فِي الْقُرْآنِ.....
٥	التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهيبُ مِنَ الشِّرْكِ.....
٨	تَصْنِيفُ التَّوْحِيدِ وَثَمَرَاتُهُ.....
١٠	النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمُ الدُّعَاةِ إِلَى التَّوْحِيدِ.....
١٧	الإِسْلَامُ هُوَ دِينُ اللَّهِ الْحَقُّ.....
٢٠	فَرْحُ الْعِيدِ الشَّرْعِيُّ.....
٢٩	الْعِبَادَةُ لَا تَنْقَطِعُ بَعْدَ رَمَضَانَ.....
٣٩	نَصِيحَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلنِّسَاءِ يَوْمَ الْعِيدِ.....
٤٢	تَذَكَّرُوا بِجَمْعِكُمْ يَوْمَ حَشْرِكُمْ!!.....
٤٤	الْحَثُّ عَلَى التَّعَاوُنِ وَالْإِجْتِمَاعِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ.....
٤٥	قَضِيَّةُ الْأُمَّةِ الْقُدُسُ وَالْأَقْصَى.....
٥٢	وَطْنُكُمْ الْإِسْلَامِيُّ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ!!.....